

الباب التاسع

النقد الحديث في صحيح البخاري



obeikandi.com

النقد الحديث في صحيح البخارى

لقد كانت الحرب الصليبية الأوربية في بلاد الاسلام نابعة
بدافعين أساسيين :

الدافع الاول :

العصبية العمياء من رجال الكنيسة محرضين على تخليص مهد
المسيح من أيدي المسلمين مفترين بالتشويش على عقائد الاسلام
ومقاييسه *

الدافع الثانى :

وهو استغلال ثروات المسلمين وكانت النتيجة أن هزمت الجيوش
الصليبية وأخفقت عسكريا فرأوا أن يتجهوا الى دراسة عقائد المسلمين
لغزوهم ثقافيا وألفت الجمعيات المسيحية واليهودية لهذا الغرض وهؤلاء
هم المبشرون من رجال الدين الذين عنوا بدراساتهم لأصول الاسلام
وقواعده لبلبله هذه الثقافة الحيوية الاسلامية وكان منهم من يتسم في
الظاهر بانصاف الاسلام والاشادة به ، لا لشيء الا ليطمئن الباحث الى
أفكاره ثم يأتى بجزئية صغيرة في حروفها خطيرة في سمومها بالنسبة
الى الاسلام وأصوله وسواء أكان ذلك عن جهل بطبيعة الاسلام أم عن
سوء النية فقد كان خطرا على قواعد الاسلام والتهوين من شأن مصادره
الصادفة ورجاله المعنيين به وكان لهم مدرسة فتن بها بعض الباحثين
الاسلاميين الذين يطربون لكل جديد شعورا ساذجا منهم الى أن ذلك
يعلى قدرهم عن صفوف رجال الدين وكان من أشد هؤلاء المستشرقين

حطراً المستشرق اليهودى المجرى (١) جولسد تسيهر • وحسبك أن ترى
افتراء هذا المستشرق فى آرائه •

فى كتابه مذاهب التفسير الاسلامى ترجمة الدكتور عبد الحليم
النجار •

وفى كتابه العقيدة والشريعة فى الاسلام الذى ترجمه الأستاذة
الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور على حسن عبد القادر والأستاذ
عبد العزيز عبد الحق وكان من قواعد هذا المستشرق ما هو هدم لكيسان
السنة بصفة عامة •

مثال ذلك دعواه أن الحديث نتيجة لتطور المسلمين يقول جولسد
تسيهر ، ان القسم الاكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الدينى
والسياسة والاجتماع للإسلام فى القرنين الأول والثانى . وهذه دعوة
خطيرة للغاية ومنهارة أمام المقاييس الثابتة من الكتاب والسنة ، فمن
أواخر ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » ولم يتوف الرسول
الا وقد أكمل الشرائع وترك فينا سبيل الهداية ممثلاً فى الكتاب
والسنة « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما •• كتاب الله
وسنتى » •

وأما من السنة فقد روى البخارى قال « الرسول صلى الله عليه
وسلم » : « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من
خالفهم حتى يأتى أمر الله » •

والعناية بالسنة ووضع المقاييس الثابتة لحفظها والمنهج المستقيم
الذى لم يتوفر لأى ثقافة كان شغل المسلمين يتلقاها خير خاف عن خير
سلف الى أن أوصلوها لنا صحيحة ثابتة كما قالها الرسول ويعلم ذلك
من درس منهجهم التقييم فى كتب المصطلح وما كان هجوم « أبو ريه »

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للسباعى •

وأمثاله من التشكيك بالسنة الا ترديدا لقضايا هذا المستشرق وأمثاله
« سبرنجر » ودائرة المعارف الاسلامية البريطانية وما مثلهم •

آراء المستشرقين

وقد وضع جولد تسيهر أيضا قاعدة خطيرة ردها من بعده المفتونون
بكل جديد المغرورون بعقولهم أو تبريزهم في ميادين أخرى غير ميدان
الحديث • وهذه القاعدة هي أن الاعتراف بصحة الحديث أمر شكلي
قال جولد تسيهر •• وقد شعر المسلمون في القرن الثاني بأن الاعتراف
بصحة الأحاديث يجب أن يرجع الى « الشكلى فقط لأنه يوجد بين
الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الاحاديث الموضوعه وساعدهم على
هذا ما ورد من الحديث « سيكثر التحديث عنى فمن حدتكم بحديث
فطبقيه على كتاب الله فما وافق منى قلته أو لم أقله هذا هو المبدأ
الذى حدث بعد قليل عند انتشار الوضع أ • ه •

الرد على المستشرقين

وقد رد الدكتور السباعى فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع
الاسلامى » على هذه الفرية فقال :
افتنى المستشرقون هنا على علماء الاسلام فى موضوعين :
الأول - زعمه بأن الاعتراف لصحة الحديث شكلى فقط وأنه
يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعه وهذا
افتراء منه عليهم وهم لم يقولوا بذلك قطعا وكيف يقرون بأن هنالك
كثيرا من الأحاديث الموضوعه هى جيدة الاسناد ؟
وانما الذى قاله العلماء حين بحثوا مسألة العمل بخبر الواحد • هل
يفيد القطع أو الظن ؟ فذهب بعضهم الى أنه يفيد القطع وذهب الجمهور
الى أنه يفيد الظن لأنه وان كان صحيحا بحسب الشروط والقواعد
العامة الا أنه يحتمل ألا يكون صحيحا « فى الواقع » وهذا منهم مجرد
احتمال عقلى دعاهم اليه الاحتياط فى دين الله والتثبت فى الأحكام فأين
هذا مما ينقله عنهم هذا المستشرق •

الثانى - زعمه أن المبدأ الذى حدث بعد قليل هو حديث سيكثر التحديث عنى . الخ •• وهذا افتراء محض إذ أن هذا الحديث نقده الأئمة وحكموا بوضعه كما قال الشافعى وابن حزم ويحيى بن معين وعبد الرحمن بن مهدي فكيف يكون هذا الحديث الذى حكموا بوضعه هو القاعدة التى ساروا عليها والمبدأ الذى قالوا به ؟ •• أ • ه •

وهذا شأن المستشرقين وأتباعهم يشككون فى الأدلة الصحيحة • ومن الغريب أنهم يتشبهون لتقويض الصحيح بكل ضعيف وأى مكذوب فبأخذه قاعدة مسلمة وهم بذلك يناقضون أنفسهم إذ الوضع لو صح فى الحديث الصحيح كما يدعون على مذهبهم لألزمهم مذهبهم بالوضع من باب أولى فيما يستدلون به من الضعيف الواهى أو على الأقل يتطرق الاحتمال إليه فلا يستدل به وكأنهم ما علموا أن الاعتناء بالسند إنما هو من أجل العناية بالمتن وأن المحدثين يقولون السند للخبر كالنسب للمرء يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمو لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حديثهم « وهم الذين لا يكذبون وأصحاب المقاييس الصحيحة » وينظر الى أهل البدع « ممن يظن فيهم الكذب أو الضعف » فلا يأخذ حديثهم (١) وقال سيفان « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » (٢) •

وقال الامام مالك « لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من سفه يعلن بالسفه وان كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وان كنت لا تنتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحدث به » وهذا هو نهج المحدثين والبخارى وكان نهجا عمليا تطبيقيا فمميزوا بين الصالحين لأرواية وغير الصالحين كما يتضح ذلك فى كتاب التاريخ الكبير

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٤ •

(٢) الكامل لابن عدى ج ٣ ص ٤ •

وكتاب الضعفاء للبخارى ووضح الامر وأشرق اليقين ، على أنهم وضعوا قواعد للمتن على خلاف ما زعم «جولد نسيهر» وما رده بعده المستشرق « غاستون ويت » كاتب مقال الحديث في التاريخ العام للديانات (١) .
وقد قال : لقد درس رجال الحديث السنة باتقان الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ومعرفة الرجال والتقائقهم وسماع بعضهم من بعض الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن . « ورتب النتيجة الخبيثة لهذه الفكرة الخطيرة بقوله ولذلك فلسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف اليه الرواه شيئاً عن حسن نية في أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعي أن يكونوا قد زادوا شيئاً في أثناء روايتهم مشافهة ومهما كان هذا الرأى صحيحاً فان المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح » أ . ه .

وهكذا يرمون القضايا جزافاً حتى غير مشيرين الى أن هناك مصادر للصحيح معلومة وأخرى جمع فيها كلام الوضاعين وأصبح الأمر معلوماً ، والحق أن المسلمين يتقبلون الحديث الصحيح على أنه صحيح لأنهم أعلم بمقاييسهم وأفهم بمصطلحاتهم وأصدق جهداً بالعناية بتراتهم لا كما فهم المستشرق وهذه الأدعوى بهرت بعض الباحثين الاسلاميين من أتباع المستشرقين فقد ردها ، الأستاذ أحمد أمين فقال (٢) وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال — عنوا بنقد الأستاذ أكثر مما عنوا بنقد المتن فقل أن يظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب الى النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التي قيلت فيه أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفى يخالف المؤلف في تعبير النبي أو أن الحديث أشبه في شروطه وقيوده بمتون الفقه وهكذا لسم نظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم أ . ه .

(١) Histoire générale Islam (p 366)

(٢) نجر الاسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

وهذه الدعوة من حيث السنة العامة بما فيهم الشيخان وغيرهما .
بل انما تطرق هذا التطبيق وتعدى الى البخارى نفسه فيقول
الأستاذ أحمد أمين حتى أن البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه
يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير
صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال .

وأقول لمثل هؤلاء أن العناية بالسند انما هى من أجل المتن كما
أشرت من قبل ثم ان عدم معرفتكم لمقاييس النقد فى المتن لا يعنى عدم
وجودها والمحدثون نقدوا المتن كما نقدوا السند الا أن هذا النقد لم
يهتدوا الى مظان بحثه حيث بحثتم عليه فى الأحاديث الصحيحة السند
وهو انما يظهر لكم بوضوح عند عدم التأكد من صحة السند — لأن السند
الذى فرض عليه الاتصال للثقات المعادلين الحافظين المستمعين من
الصعب أن نجد فيه الموضوع — لا كما يدعى هؤلاء وكما يقول أبو ريه
وهو من أتباع أتباع المستشرقين أو من أتباع المغرورين من أن المحدثين
لا يعنون بغلط المتن ؟

ونقل أبو ريه الاتفاق (١) على أنه ليس كل ما صح سنده من
الأحاديث المرفوعة يصح متنه لجواز أن يكون فى بعض الرواه من
أخطأ فى الرواية عمداً أو سهواً .

وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلاً بل قالوا ان الموضوع
من حيث الرواية يكون صحيحاً فى الواقع وان الصحيح السند قد
يكون موضوعاً فى الواقع وانما علينا ان نأخذ الظواهر أ . ه وأقول
قد وضع المحدثون المتقدمون قواعد لمعرفة المتن الموضوعية وهى تظهر
بوضوح فى غير صحيح الاسناد .
قال الامام ابن قيم الجوزيه (٢) .

(وسئلت هل يمكن معرفة الموضوع بضابط من غير أن ينظر فى
سنده) فهذا سؤال عظيم القدر وانما يعلم ذلك من تضلع فى معرفة

(١) ان راء على السنة من ٣٠٢ لابي رية .

(٢) المنار لابن قيم الجوزيه من ١٥ — وانظر قواعد الحديث من ١٤٨ .

السنن الصحيحة واختلط بدمه ولحمه وصار له فيها ملكه وحاله • له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدية فيما يأمر به وينهى عنه ويخبر عنه ويدعو اليه ويحبه ويكرهه ويشعره للإمامة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه ومثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهدية وكلامه وما يجوز أن يخبر عنه وما لا يجوز ، ما لا يعرفه غيره وهذا شأن كل متبع مع متبوعه فالأخص به الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في انعام بها والتميز بين ما يصح أن ينسب اليه وما لا يصح ما ليس لمن لا يكون كذلك •

وقال ابن دقيق العيد (١) فان معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى •

ومن القرائن التي تدل على الوضع في المتن على سبيل الاجمال ركافة اللفظ المروى بحيث يدرك من له المام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضعت أحاديث ركيكه تشهد الفاظها ومعانيها نوضعها قال الحافظ المدار في الركة على ركة المعنى فحينما وجدت دلت على الوضع وان لم ينضم اليها ركافة اللفظ لأن الدين كله محاسن والركفة ترجع الى الرواية •

أما ركافة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى وغير الفاظه بغير لفظ فصيح ، نعم ان صرح بأنه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فكاذب •

فساد المعنى كالأحاديث التي يكذبها الحس نحو حديث البازنجان لما أكل له ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه وكل ما يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء كحديث المجرة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش •

(١) توضيح الإنكار ص ٩٤ •

وما يناقض نص الكتاب والمسنة المتواترة أو الاجماع القطعى (١) .
قال ابن قيم الجوزية ومنها مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث
مقدار الدنيا وانها سبعة الاف سنة ويجىء فى الالف السابعة وهذا
من ابيّن الكذب فهو مخالف لقوله تعالى (يسألونك عن الساعة ايان
مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات
والارض لا تأتاكم الا بغتة) *

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يعلم متى تقوم الساعة الا
الله (٢) وكل ما يخالف الحقائق التاريخية ، وتكونت من الدراسة ملكات
خاصة عند المحدثين وفى هذا يقول ابن الجوزى « الحديث المنكر
يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه فى الغالب (٣) » *

ويقول الربيع بن خيثم التابعى الجليل أحد أصحاب ابن مسعود
« أن من الحديث حديثا له ظلمة الليل نعرفه بها (٤) » (وان من الحديث
حديثا له ضوء كضوء نعرفه به) ، ولم تكن هذه المقاييس بخافية
على أصحاب الصحاح بل هم فرسان حلبتها لذا لم يوجد الموضوع
عندهم ، أفبعد كل هذا مع جمع الاحاديث الموضوعه فى قائمة والصحيحة
فى قائمة والتعاون من أبطال المحدثين فى المجتمع الاسلامى تصح دعوى
المستشرقين ومن نهج نهجهم فى عدم الاعتناء بنقد المتن الذى من أجله
كان السند ومع كل اعتناء بالسند انما هو اعتناء بالمتن فوق ما تقدم من
قواعد المتن الخاصة ، والواقع ان سبب عدم وجود نقد المتن فى صحيح
البخارى أنه انما لما صدق السند صدق المتن فلم توجد فيه متون مخالفة
لقواعد نقد المتن — وان قواعد المتن تظهر فى غير ماسنده يكون
صحيحا وقد جهلتم يا هؤلاء مظان أماكن البحث فابحثوا عنها تجدوها
فى كتب الموضوعات فلو لم يكن الاهتمام بالمتن ، اا حصرت الموضوعات

(١) الباعث الحديث ص ٩ والمنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠ والسنة قبل التدوين ص ٢٤٤ .
(٢) المنار لابن قيم الجوزية ص ٣١ .
(٣) الباعث الحديث ص ٩٠ .
(٤) معرفة علوم الحديث ص ٩٢ والحديث الشامل ص ٦٣ .

والا على أى أساس حصرت غير نقد المتن لأنه من المعلوم أن ضعف السند لا يقتضى ضعف المتن بل يتوقف عن قبوله ولا يحكم بوضعه ويقال فيه لم يثبت فاذا أتى من طريق صحيح صح المتن وقبل فاعلموا مظان نقاط البحث تهتدوا سواء السبيل *

ونظرا لهذا اللبس والخطأ فى معرفة نقاط البحث فى السنة قال « أبو رية » فى كتابه « أضواء على السنة المحمدية » المحدثون لا يعنون بغلط المتن وفى معرض عدم العناية بنقد المتن *

قال أبو رية : فان الدار قطنى وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء النقد فيما يتعلق بالمتن كما تعرضوا لذلك فى الاسناد وذلك لأن النقد المتعلق بالاسناد دقيق غامض لا يدركه الا أفراد من أئمة الحديث المعروفين بمعرفة الله ، بخلاف النقد المتعلق (بالمتن) فإنه يدركه كثير من العلماء الاعلام المشتغلين بالعلوم الشرعية والباحثين عن مسائلها الاصلية والفرعية ككثير من المفسرين والفقهاء وأهل أصول الفقه وأصول الدين *

وكأنه يعنى بذلك نفسه وأمثاله غرورا وبهتانا وكأن الدراقطنى ، وهو من أئمة النقاد لم يصل الى مقاييس أبى رية وأتباعه ، ثم بعد ذلك ناقض نفسه فبعد أن قرر أن أئمة الحديث انما يعنون بالاسناد رجع مباشرة بعد هذا الكلام بدون فاصل فقرر بأن كثيرا من أئمة الحديث تعرضوا لنقد المتن وان كان قليلا بالنسبة للسند وجاء بالمثل الذى جاء به ابن حجر فى المقدمة ورد عليه ابن حجر حيث لم يجد أبو رية غيره *

قال أبو رية :

وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد فمن ذلك يقول الاسماعيلى بعد أن أورد الحديث الذى رواه البخارى عن ابن أبى أويس عن أخيه عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : يلقي ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره — الحديث هذا خبر فى

صحته نظر من جهة أن ابراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد فكيف يجعل ما بأبيه خزيا له مع أخباره ان الله قد وعده ان لا يخزيه يوم يبعثون ، وأعلمه أنه لا خلف لوعده وقد أعل الدار قطتى هذا الحديث من جهة الاسناد فقال هذا رواه ابراهيم بن طهمان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة ، واجيب عن ذلك بأن البخارى قد علق حديث ابراهيم ابن طهمان فى التفسير فلم يهمل حكاية الخلاف فيه وينبغى للنظر فى الصحيحين أن يبحث عما انتقد عليهما من الجهتين فبذلك تتم له الدلالة فيما يتعلق بالرواية أ • ه أبو رية •

وقد تبين أن البخارى كما ذكر ، حكى الخلاف فيه وبينه ، فلا نقد عليه هذا فضلا على أن مثل هذا من ناحية المعنى هو ما حكاه القرآن مع نبى آخر هو الأب الثانى للانبيا نوح عليه السلام حينما قال (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق) فبين الله بأنه ليس من أهله حتى يكون قد أخلف الوعد (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين — قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) •

وفى هذا الحديث عندما يقول ابراهيم يارب وعدتني ألا تخذيني يوم يبعثون فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين والمعنى أن ذلك ليس بخزى وليس باختلاف للوعد كما قال لنوح عليه السلام ، ولو أطلقت العقول المغرورة فى مثل هذه الأمور المتشابهة طعننت فى القرآن بما لا يوافق هواها كما طعننت فى السنة وقد بنى هؤلاء النقاد قاعدتهم هذه على ما صرح به المحدثون من أنه لا يلزم حتما من صحة المتن صحة السند كما لا يلزم العكس قالوا ذلك من أجل الاحتياط التام ومن حيث الجواز العقلى ومرادهم ان المتن قد يزداد فيه لفظ مدرج أو قد يسهو الراوى على سبيل الندرة ، على لفظ لا يسترعى اهتمامه لعدم تعلقه بأصل الحديث والا لما قبل أن ينقله ، على أنه فى حالة نقله يبين عدم تمكنه أو ترده فى هذه اللفظة ووضع المحدثون لمعرفة ذلك مقياسا واستوعبوا مثل هذه الالفاظ النادرة وذلك انها تعرف بمخالفة الاثقات حيث وردت بطريق آخر ومثل ذلك فى البخارى الاختلاف فى ثمن جمل

ويكون له أثر طيب في حالة المسحور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الدكتور السباعي (١) انك لا تشك معي في أن اقدام مؤلف فـجـر الاسلام على القطع بتكذيب هذا الحديث جرأة بالغة منه لا يمكن أن تقبل في المحيط العلمى بأى حال مادام سنده صحيحا بلا نزاع ومادام متنه صحيحا على وجه الاجمال ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ، مادل عليه من خواص العجوة ويقتنى انه لو كان في الحجاز معاهد طبية راقية أو لو كان ثمر العالية موجودا عند الغربيين لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة أن لم يكن اليوم غفى المستقبل ان شاء الله أ . هـ

ويحقق الزمن صدق المدافع عن السنة ويثبت صحة مقاييسه ويبطل مقاييس النقد الحديث فقد كتب الاهرام تحت عنوان (٢) « البلح علاج لأمراض العيون والجند والانيميا والنزيف ولين العظام والبواسير ويساعد على الولادة بسهولة » أثبتت الأبحاث العلمية التى أجريت أخيرا بالمركز القومى للبحوث أن البلح غذاء كامل ويفيد في وقاية الجسم وعلاجه من أمراض الانيميا وحالات النزيف ولين العظام والبواسير ويساعد المرأة الحامل بسهولة على الولادة صرح بذلك الدكتور عزيز شرف المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومى للبحوث وأضاف قائلا ان الابحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم في قيمته الغذائية ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية وذلك بالإضافة الى أنه غنى بالكالسيوم والفسفور والحديد ويحتوى على غالبية الفيتامينات المعروفة *

وبهذا قد ثبت أن المشاهدة والعلم يكذب نقدهم ويثبت صحة

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٢٦٥ .

(٢) جريدة الاهرام يوم الاثنين ١٢ ذو الحجة ١٣٨٢ الموافق ٢٦ مايو ١٩٦٣ لسنة ٩٨ العدد ٢٧٩٠٥ ص ٤ .

الإحاديث التي لم ترق في نظرهم وهكذا يخطيء النقاد من المحدثين ويكذبهم العلم *

ومثال ما نقدوه أيضا في صحيح البخارى نتيجة عدم الدقة في البحث ما نقده الاستاذ أحمد أمين مما رواه البخارى « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة (١) » هذا الحديث أخرجه الامام البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث وقهم منه مؤلف فجر الاسلام أن مراد الرسول صلى الله عليه وسلم الاخبار بانتهاء الدنيا بعد مائة سنة ومن هنا حكم عليه بالوضع لمخالفته للحوادث التاريخية والحس والمشاهدة *

ولكن هذا الحديث الذى ذكر هو جزء من حديث كامل أخرجه البخارى في باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة وهو أن عبد الله بن عمر قال * قام صلى الله عليه وسلم في صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قال أرأيتمكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وانما قال النبي لا يبقى ممن هو « اليوم » على ظهر الأرض يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن فهذا نص الحديث واضح في أن الرسول أخبر صحابته في آخر حياته وجاء في رواية جابر قبل وفاته بشهرين حين قال الرسول تلك المقالة لا يعمر أكثر من مائة سنة ولم يفتن بعض الصحابة الى تقييد الرسول بمن هو على ظهرها اليوم فظنوه على اطلاقه وان الدنيا تنتهى بعد مائة سنة فنبههم ابن عمر الى التقييد في لفظ الرسول وبين لهم المراد منه وكذلك فعل على بن أبى طالب في رواية الطبرانى *

وقد استقصى العلماء من كان آخر الصحابة مرتا فوجدوه أبا الطفيل عامر بن وائلة وقد مات سنة عشر ومائة وهى رأس مائة سنة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام حيث أخبر بأمر مغيب فوق كما أخبر

(١) مقتبس من السنة ومكانتها للدكتور السباعى *

قال الدكتور السباعي فأنت ترى أن هذا الحديث الذي كان في الواقع معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام ينقلب في منطق النقد الجديد الذي دعا اليه صاحب فجر الاسلام الى أن يكون مكذوبا مفترى *

وان تعجب فعجبك من الاستاذ مؤلف فجر الاسلام ذكر في آخر فصله أهم مراجع بحثه وفي مقدمتها فتح الباري على البخاري والقسطلاني على البخاري وشرح النووي على مسلم وهؤلاء الشراح نبهوا على معنى الحديث وبينوا تقسيم البخار له في موضعين وأشاروا عند الجزء المختصر الى موضع الحديث الكامل فان كان الاستاذ أطلع على روايات الحديث وأقوال الشراح فكيف حكم بعد ذلك بكذبه ؟ وان لم يطلع عليها فكيف عد تلك الشروح من مرجع بحثه بل كيف استباح الخوض في هذا الموضوع على غير هدى ؟

نقد الدكتور محمد توفيق صدقي

وحديث الذباب رواه البخاري في باب اذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فان في أحد جناحيه داء والاخرى شفاء عن أبي هريرة رضى الله عنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان في أحد جناحيه داء وفي الأخرى شفاء أنكره الدكتور محمد توفيق صدقي (١) وطعن فيه لأنه لا يوافق العقل والعرف وثار علماء الازهر في وجهه لتوهينه حديثا في صحيح البخاري ثار علماء الازهر في وجهه ووقف بجانبه الاستاذ محمد رشيد رضا ونعى على الازهريين هذا التعصب ضد مسلم من خيار المسلمين علما وعملا ودفاعا عن الاسلام وقال وكيف يحصل منهم ذلك بمجرد شبهة على صحة حديث رواه البخاري عن رجل يكاد أن يكون مجهولا واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلا في الاسلام وهو عبيد الله بن حنين وموضع ضعفه ليس من عقائد الاسلام ولا من عباداته ولا من شرائعه ولا الزم المسلمون العمل به : ما أسهل التفكير على مقلدى أقوال المتأخرين وحسبنا الله ونعم الوكيل أ * ه *

(١) السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ *

ونقل هذه الأراء فى موضع الاستشهاد بها أبو رية ، ثم بعد ذلك فى عهد التقدم العلمى والمعامل والتحليل نستمتع الى انصاف صحة الحديث وتأكيد صحته كمعجزة للنبي الأمى حيث صرح به فى عهد لم يعلم فيه التحليل وها هو التحليل العلمى يكذب النقاد ويصدق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وأنقل هنا كلمة الطب فيما قاله العلماء فى العصر الحديث •

كلمة الطب فى حديث الذباب (١)

البحوث والمراجع العلمى تؤيد الحديث الشريف اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه كله فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر تسفاه • تحقيق علمى للدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حسين • كثر التعرض لهذا الحديث وخصوصا من جانب أطباء مكذبين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض ونحن نعلم أن من بين الاحاديث التى رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو صحيح وما هو مكذوب وكان على فقهاء الحديث أن يبينوا انصحيح ويستبعدوا المكذوب ، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الاعلام بصحة الحديث لاستناده لثقة من الرواة ، وتمسك بعض الاطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

١ - عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث وكيف يستبعدون الاحاديث المكذوبة •

٢ - محاولة البحث العامى بافتراض صحة الحديث للوصول الى حقائق أنبأنا عنها النبي عليه الصلاة والسلام (وما ينطق عن الهوى أن هو الاوحى يوحى (٢) •)

(١) مجلة الازهر رجب ١٣٧٨ ص ٥٧٨ •

(٢) سورة النجم •

٣ - عدم الخوض في موضوع مادة الحديث قبل الرجوع الى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات • ولهذا وجدنا بعد قراءة الموضوع والمجادلات المتبادلة بين الفريقين في الصحف والمجلات منذ مدة طويلة أن نحاول ان نرد الحق الى نصابه ذلك أن بعضنا بعد قراءة آراء فقهاء الحديث عن صحة الحديث لم يتردد في تصديقه وحاول أن يرجع الى المراجع العلمية التي تؤيد صحة الحديث وقد جاء في المراجع العلمية ان الاستاذ الالماني بريفلد من جامعة هال بألمانيا وجد في عام ١٨٧١ أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلي من جنس الفطريات سماها امبوزا موسكى من عائلة انتوموفتر التي من تحت فصيلة سيجومايسيس من فصيلة فيكوميسيس ويقضى هذا الفطر حياته في الطبقة الدهنية داخل بطن الذبابة على شكل خلايا خميرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية وفي هذه الحالة يصبح خارج جسم الذبابة وهذا الشكل يمثل الدور التناسلي لهذا الفطر وتتجمع بذور الفطر في داخل الخلية الى قوة معينة تمكن الخلية من الانفجار واطلاق البذور خارجها ولهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور الى مسافة حوالي ٢ سم من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشاش ويوجد دائما حول الذبابة الميتة والمتروكة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر ورعوس الخلية المستطيلة التي يخرج منها البذور حول القسم الثالث والاخير من الذبابة على بطنها وظهرها وهذا القسم الثالث أو الأخير دائما يكون مرتفعا عندما تقف الذبابة على أى مسند لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل البناء الى قوة معينة وهذا قد يكون مسببا من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة وفي وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جزء من السيتوبلازم من الفطر كما ذكر الاستاذ لنجيرون (أكبر الاسانذة في علم الفطريات) في عام ١٩٤٥ أن هذه الفطريات كما ذكرنا تعيش في شكل خميرة مستديرة داخل أنسجة

الذبابة وهى تفرز أنزيمات قوية تحلل وتزيد أجزاء الحشرة الحاملة
• لمرض

ومن جهة أخرى تم فى سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضادة للحوية
(بواسطة ارنش تين وكوك من انجلترا وبوروليوس من سويسرا فى
سنة ١٩٥٠) تسمى جافاسين من فطر من نفس الفصيلة التى ذكرناها
والتى تعيش فى الذبابة وهذه المادة المضادة للحوية تقتل جراثيم مختلفة
من بينها جراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوسنتاريا
والتيفود وفى سنة ١٩٤٨ عزل بريان وقوروتيس وهيمانج وجيفيرس
وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحوية • تسمى كلوتينيزين من
فطريات من نفس فصيلة الفطر الذى يعيش فى الذبابة وتؤثر على جراثيم
السالبة لصبغة جرام من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفود وفى سنة
١٩٤٩ عزل كوكس وافارمر من انجلترا وجرمان وروس واتلنجر وبلانتر
من سويسرا مادة مضادة للحوية تسمى انياتين من فطريات من نفس
صنف الفطر الذى يعيش فى الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام
موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ومن بينها جراثيم
الدوسنتاريا والتيفود والكلوريا • ولم تدخل هذه المواد المضادة للحوية
بعد الاستعمال الطبى ولكنها فقط من العجائب العملية لسبب واحد وأنها
بدخولها فى كميات كبيرة فى الجسم قد تؤدى الى حدوث بعض
المضاعفات بينما قوتها شديدة جدا وتفوق جميع مضادات الحوية
المستعملة فى علاج الأمراض المختلفة وتكفى كمية قليلة جدا لمنع معيشة
أو نمو جراثيم التيفود والدوسنتاريا والكلوريا وما يشبهها وفى سنة
١٩٤٧ عزل مفتيش مواد مضادة للحوية من مزرعة الفطريات الموجودة
على جسم الذبابة ووجد أنها زات مفعول قوى فى بعض الجراثيم
السالبة لصبغة جرام مثل جراثيم التيفود والدوسنتاريا وما يشبهها
وبالبحث عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التى تسبب أمراض
الحميات التى يلزمها وقت قصير للحضانة وجد أن واحد جرام من هذه
المواد المضادة للحوية يمكن أن يحفظ أكثر من الف لتر لبن من التلوث
من الجراثيم المرضية المذكورة •

وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد *
أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكليرة
التيفود والدوسنتاريا وغيرها التى ينقلها الذباب من المجارى والفضلات
أو البراز من المرضى وهى الاماكن التى يرتادها الذباب بكثرة فى مكان
هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو فى برازها وهذا
ثابت فى جميع المراجع البكتولوجية وليس من الضرورى ذكر أسماء
المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقة المعلومة *

ويستدل من كل هذا على أنه اذا وقعت الذبابة على الأكل فستلزم
الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية التيفود والكليرة أو
الدوسنتاريا أو غيرها * واذا تبرزت على الغذاء كما ذكرنا بأرجلها التى
تفرز المواد المضادة للحياة وانتهى تقتل الجراثيم المرضية الموجودة فى
براز الذبابة وفى أرجلها توجد على بطن الذبابة ولا تتطلق مع سائل
الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحياة
الا بعد أن يلمسها السائل الذى يزيد الضغط الداخلى لسائل الخلية
ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل *

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوى الذى يؤكد
ضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل أو الغذاء اذا وقعت عليه لافساد
أثر الجراثيم المرضية التى تنقلها بأرجلها أو ببرازها وكذلك يؤكد
الحقيقة التى أشار اليها الحديث وهى أن فى أحد جناحيها داء (أى فى
أحد أجزاء جسمها الامراض المنقولة بالجراثيم المرضية التى حملتها) وفى
الآخر شفاء وهو المواد المضادة للحياة التى تفرزها الفطريات الموجودة
على بطنها والتى تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة
للفطريات *

أمثلة من اهتزاز مقاييس النقد الحديث

وهذه أمثلة تبين اهتزاز مقاييس العصر الحديث وعدم دقتهم فى
نقدهم وتسرعهم .
وعلى سبيل أمثلة السرعة فى بحثهم : مثلا نرى الأستاذ أحمد أمين

يزعم أن ما جمعه البخارى فى حديث الجامع الصحيح وهو أربعة آلاف من غير المكرر هو كل ما صح عنده من عدد الأحاديث التى كانت متداولة فى عصره وبلغت ستمائة ألف *

وهذه دعوى لها خطرهما اذ معنى ذلك ان غير تلك الأحاديث قد حكم البخارى على عدم صحتها وليتهم كما ذكرت قد سلموا بما جمعه البخارى بل يتعقبونه بمقاييسهم المنهارة وفى ذلك خطر على السنة ولم يكلفوا أنفسهم أو لم يثقوا بما سجله الحفاظ من ان البخارى ، كما تقدم صرح بأنه ليس كل صحيح عنده جمعه فى كتابه وثبت أيضا مثل ذلك عن الامام مسلم وقال ابن الصلاح فى مقدمته وهى من أصول الحديث المتداولة (لم يستوعبا البخارى ومسلم) الصحيح فى صحيحهما ولا التزم أى الاستيعاب وقد صرح بذلك الشيخان *

ومن أمثلة السرعة فى البحث أيضا جزم الاستاذ أبو رية بأن أول من ألف فى الحسن الترمذى وكأن هذا هو القول الوحيد الذى لا غبار عليه وهذه دعوى ابن تيمية قال ان تقسيم الحديث عند قدمائهم كان على قسمين فقط صحيح وضعيف والحسن لذاته كان عندهم داخلا فى الصحيح ونقل الاجماع على ذلك ، التمهيص نجد أن هذه الدعوى غير صحيحة قال الكشميرى (١) :

دعوى الاجماع غير صحيح لان البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى وتبع فى ذلك شيخه البخارى فشهره ونوه بذكره وعليه مشى فى جميع كتابه أ * ه *

والسر فى أن البخارى لم يتعرض له فى صحيحه لالتزامه الصحيح لذاته فى أصل موضوع كتابه *

وهكذا كان منهج النقاد الحديث الارتجال فى الحكم وعدم القداسة الى الحديث النبوى وعدم البحث المستفيض وانتقديس لكل

(١) فيض البارى ج ١ ص ٥٧ .

غربي براق وأعمال المقاييس العقلية الفردية المتغيرة خاصة وأنها قد تكون مشغولة بفروع أخرى في بعض الأحيان ومتخصصة فيها ولا علاقة لها بالسنة وتتحكم نفسها في ميدان السنة من غير معرفة به وبعضهم مريض بحب الظهور وإذا كانت مقاييسهم كما ترى مهزوزة غير ثابتة ينكرون الثابت ويستدلون بكل واه ضعيف ويهلون في أمر الوضع والمضامين علما بأن الوضع في الحديث ولد ميتا حيث لم يسر على منهج يحميه وقد عاش له الجهادة فروده ووأدوه جميعا قبل أن يشعر بالحياة قيل لابن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة ؟ فأجاب :

بنظرة الواثق المطمئن بكل بساطة قال تعيش لها الجهادة ويقول الدكتور السباعي (١) في هؤلاء وأمثالهم وأساتذتهم من المستشرقين : أما المستشرقون فلم يقفوا من رسول الله الموقف الكريم بل نقدوا أحاديثه على وفق ما يعرفون من أصول النقد العام الأخبار الناس العاديين ذلك لأنهم ينظرون الى الرسول كرجل عادي لم يتصل بوحى ولم يطلعه الله على مغيبات ولم يميزه عن بنى الانسان بأنواع المعارف والكرامات : إذا روى لهم حديث عليه صبغة القانون قالوا ان هذا موضوع لانه يمثل الفقه الاسلامي بعد نضوجه ولا يمثل سناجته وبساطته في عصر النبي والصحابة وإذا روي لهم بشارة من الرسول واخبار عن أمر يقع للمسلمين في المستقبل قالوا ان ظروف النبي لم تكن تسمح له أن يقول هذا القول •

وهكذا وقفوا من رسولنا عليه الصلاة والسلام موقف المنكر رسالته المتشكك في صدق ما بلغ به عن الله الهادي في سمو روحه التي اتصلت بالملا الأعلى ففاض منها النور والحكمة والمعرفة ولم يكتفوا بذلك بل حملوا على علمائنا لأنهم لم يقفوا منه هذا الموقف وعلمائنا معذورون إذ لم يتجهوا مع المستشرقين في هذا الاتجاه الخاطيء لأنهم

(١) السنة ومكانتها ص ٢٥٧ •

مؤمنون بمحمد بن عبد الله رسولا كريما أرسله الله الى الناس أجمعين بشرع محكم وسعادة شاملة للناس في دنياهم وآخرتهم أما أتباع المستشرقين من المسلمين كمؤنف (فجر الاسلام • فمن المؤسف انهم انساقوا في ذلك الاتجاه ولم يفتنوا الى خطأ تلك الطريقة فأخذوا ينعون على علمائنا تقصيرهم في نقد المتن غير مستمسكين من الحجج إلا بما أتى به المستشرقون) •

وها أنا لم أكثر في كل ما كتبه أحمد أمين في هذا الموضوع على رأي طريف لم يأخذه عن المستشرقين ثم أخذ يضرب هو وأمثاله على وتيرة تحكيم العقل في نقد الأحاديث ولا أدري أى عقل يريدون أن يحكموه ويعطوه السلطة أكثر مما أعطاه علماءنا في قواعدهم الدقيقة • ليس عندنا عقل واحد نقيس به الأمور بل عقول متفاوتة والمقاييس مختلفة والمواهب متباينة فما لا يعقله فلان ولا يفهمه قد يراه آخر معقول مقبوما كما أن ما يخفى على الناس في بعض العصور حكمته وسر تشريعه قد يتجلى في عصر آخر معقول الحكمة واضح المعنى حين تتقدم العلوم وتكتشف أسرار الحياة فتفتح الباب في نقد المتن بناء على حكم العقل الذى لا نعرف له ضابطا •

والسير في ذلك بخطا واسعة على حسب رأى الناقد وهو اه أو اشتباهه الناشئ في الغالب عن قلة الاطلاع أو قصر نظره أو عقله عن حقائق أخرى :

ان فتح الباب على مصراعيه لمثل هؤلاء الناقدين يؤدي الى فوضى لا يعلم الا الله مننتهاها والى أن تكون السنة الصحيحة غير مستقرة الثبنيان ولا ثابتة الدعائم ففلان ينفي هذا الحديث وفلان يثبتته وفلان يتوقف فيه ، كل ذلك لأن عقولهم كانت مختلفة في الحكم والرأى والثقافة والعمق فكيف يجوز هذا ؟ ثم أليس لنا أكبر عبرة فيما وقع عليه مؤلف فجر الاسلام من أخطاء بشعة حين أراد أن يسير في هذا الاتجاه فكذب ما لا مجال لتكذيبه وحكم بوضع ما قامت الأدلة والشواهد على صحته أ • ه •

وهكذا أوقع هؤلاء النقاد جهلهم بمظان البحث وغرورهم العقلى فى هذه الأخطاء حينما حسبوا أن نقد المتن مكانه كتب الصحيح ، ولم يعلموا أن مكان نقد المتن انما هو متوفر فى كتب الموضوعات وفيها عشرات الكتب من نقد المتن ولم يكن النقد فى صحيح البخارى فى المتن على ما تصوره بل قد صح المتن بصحة الاسانيد ولذلك كان الكشميرى دقيقا حينما قال لم يستطع الدارقطنى نقد متن حديث البخارى وان يوجه اليه هذا النقد الا فى حديث واحد ، — وقد بينته فيما سبق ووضحت الرد عليه — وذلك لأن مقاييس نقد المتن ام تنطبق عليه لمئاته مقاييس البخارى فعلى هؤلاء أن يبحثوا عن نقد المتن فى كتب الموضوعات وقد جمع صاحب السنة قبل التدوين (١) أربعين مؤلفا من أشهرها تذكرة الموضوعات لأبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى (٤٤٨ — ٥٠٧ هـ) (٢) • منها الموضوعات فى الأحاديث المرفوعات لأبى عبد الله الحسن ابن ابراهيم الهمدانى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ . ومنها (الموضوعات الكبرى لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى « ٥٠٨ × ٥٩٧ هـ » أربع مجلدات) وغير ذلك •

وإذا كانت هذه مقاييس النقد الحديث ونظراته القصيرة فخير لهؤلاء وأمثالهم الا يتكلموا فى السنة الا بعد دراسة مقاييسها وكتبتها •

(١) السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ •

(٢) وتوجد الموضوعات الكبرى لابن الجوزى فى دار الكتب تحت رقم ١٤٧ م وتحت رقم

٤٨٨ حديث وكلامها مخطوط •